شرح أصول السنة

لإمام أهل السنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل

رحمه الله تعالى

١٦٤ - ٢٤١ هـ

لِفَضيلة الشَّيْخِ:

د. سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

٠٠٢٠١٠٣٠٢٦٩١٥٩

المجلس (٤)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رَبِّ العالَمِين، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعلىٰ آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

❍ **أما بَعْد؛** نواصل شرح ما سطره أهل السنة والجماعة في رسالة أصول السنة، فينفضل الابن نور الدين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

قال -رحمه الله تعالى-: [ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم أو بغَّضه لحدث منه أو ذكر مساويه، كان مبتدعًا حتىٰ يترحم عليهم جميعًا، ويكون قلبه لهم سليمًا].

من أصول السنة التي أجمع عليها أهل السنة: سلامة قلوبهم لصحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، واعتقاد فضلهم جميعًا-كما تقدم معنا-، وأن أقلهم فضلًا أفضل ممن بعده.

وأهل السنة والجماعة لا يتنقصون صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ؛ بل يترحمون عليهم جميعًا، ويحبونهم جميعًا، ولا يذكرونهم جميعًا إلا بخير، ويبغضون من أبغضهم، ولو أبغض واحدًا من صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فإنهم يبغضونه، ومن أبغض واحدًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وأبى أن يتربى عليه وأبى أن يترحم عليه فهو من أهل البدع، لا يخرج عن حد البدعة ولا عن ضلالها حتى يترحم على الصحابة أجمعين، ويذكرهم جميعًا بخير.

ولا شك أن حب الصحابة علامة الإيمان، وأن الواجب الكف عما شجر بينهم مع اعتقاد فضلهم، ولا شك أن الذين يتنقصون صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فهم يتنقصون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ؛ لأن العقلاء يعلمون أن الرجل يعرف بأصحابه، فإذا تنقصوا صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فإن ذلك تنقص لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ والسابر لأحوال الذين يتنقصون صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يدرك أنهم يتنقصون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فعلًا وليس باللازم؛ ولذلك يغلون في غيره، ويرفعونهم فوقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، كما أنهم يريدون إسقاط ديننا؛ لأن الصحابة

حملة الدين، فإذا جرحوا شهودنا جرحوا ديننا، ولن يكون لهم ذلك فالصحابة -رضوان الله عليهم- عدالتهم ورضا الله عنهم ثابتة باقية ما بقي القرآن وما بقي الناس يتلون القرآن فلن يتحقق لهم ذلك.

الشاهد: أن المؤمن يقول بلسانه، ويصدق ذلك بحاله: ﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[الحشر: ١٠]، ورأس المؤمنين هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

قال -رحمه الله-: [والنفاق هُوَ الْكفْر أَن يكفر بِالله ويعبد غَيره وَيظْهر الْإِسْلَام فِي الْعَلَانِيَة مثل الْمُنَافِقين الَّذين كَانُوا على عهد رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (ثَلَاث من كن فِيهِ فَهُوَ مُنَافِق) على التَّغْلِيظ نرويها كَمَا جَاءَت وَلَا نقيسها].

مما يجتمع عليه أهل السنة، ويعتقدونه، ويأمرون باعتقاده أن النفاق نوعان:

- اعتقادي.
- وعملي.

والنفاق الاعتقادي: أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر، فالظاهر إسلام والباطن كفر، وقد أجمع أهل السنة على أن المنافق من أشر الكفار، ليس كافرًا فقط؛ بل هو من أقبحهم وأشرهم؛ ولذلك كان في الدرك الأسفل من النار -كما تقدم-.

وأما النفاق العملي: فهو من كبائر الذنوب، ومن أقبح المعاصي، ويكفي في قبحه أن سمي نفاقًا على لسان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فالذي يكذب إذا حدث، ويفجر إذا خاصم، ويخون الأمانة، ويخلف الوعد، إذا اجتمعت فيه هذه الصفات فهو منافق خالص، أي: من جهة النفاق العملي، وهذا على وجه التغليظ والتشديد والزجر الأكيد، ومن وجدت فيه خصلة ففيه خصلة من نفاق حتى يدعها، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، و من كانتْ فيه خَصلةٌ منهنَّ كانتْ فيه خَصلةٌ من النفاقِ حتىٰ يدَعَها: إذا ائْتُمنَ خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»، متفق عليه.

إذًا انتبه: قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «كان منافقًا خالصًا»، لا يعني أنه كافر، وإنما يعني أنه قد اجتمعت فيه خصال النفاق العملي، وهذا -كما قلنا- على سبيل الوعيد والتشديد والزجر الأكيد.

قال -رحمه الله-: [وَقَوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ (لَا ترجعوا بعدِي كفَّارًا ضلالا يضْرب بَعْضكُم رِقَاب بعض) وَمثل (إِذا التقىٰ المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فِي النَّار) وَمثل (سباب الْمُسلم فسوق وقتاله كفر) وَمثل (من قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِر فقد بَاء بهَا أَحدهمَا) وَمثل (كفر بِالله تبرؤ من نسب وَإِن دق) وَنَحْو هَذِه الْأَحَادِيث مِمَّا قد صَحَّ وَحفظ فَإِنَّا نسلم لَهُ وَإِن لم نعلم تَفْسِيرهَا وَلَا نتكلم فِيهَا وَلَا نجادل فِيهَا وَلَا نفسر هَذِه الْأَحَادِيث إِلَّا مثل مَا جَاءَت لَا نردها إِلَّا بِأَحَق منها].

هذا منهج أهل السنة والجماعة في نصوص الوعيد، وقد أجمع أهل السنة والجماعة علىٰ هذا المنهج، فنصوص الوعيد نسمعها للناس كما هي، ولا نفسرها، لا نفسرها بالكفر، ولا نفسرها بأنها تحت المشيئة؛ بل نذكرها للناس كما هي؛ لأن المقصود منها زجر الناس عما فيها، فلو فسرناها بالكفر لخالفنا المراد منها شرعًا، وخالفنا عقيدة أهل السنة والجماعة، ولو فسرناها بأنها تحت المشيئة لربما هان الأمر علىٰ الناس، تحت المشيئة والله غفور رحيم والله عفو، فنذكرها كما هي بنصوصها، بألفاظها، ولا نفسرها إلا في حالتين:

الحالة الأولى: أن توجد نصوص أقوى منها، فنقدم النصوص الأقوى وهي تفسرها.

والحالة الثانية: أن توجد فتنة، كأن توجد فتنة التكفير، والتكفيريون يحتجون بهذه النصوص، فإن نفسرها بعقيدة أهل السنة والجماعة، وأن ما فيها تحت المشيئة؛ دفعًا لفتنة التكفير، وهذا كما يقول العلماء من باب ارتكاب أخف المفسدتين، لا شك أن تفسيرها بأنها تحت المشيئة وإشاعة ذلك بين الناس قد يذهب المقصود ومنها، وقد يجعل بعض العوام يجرؤ على ما فيه؛ لكن تركها يقود إلى التكفير وفتنة التكفير وهي أعظم مفسدة، ففي هذه الحال تفسر بأنها تحت المشيئة.

قال -رحمه الله-: [ومن الإيمان الاعتقاد بأن الْجنَّة وَالنَّار مخلوقتان كَمَا جَاءَ عَن رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم (دخلت الْجنَّة فَرَأَيْت قصرا وَرَأَيْت الْكَوْثَر واطلعت فِي الْجنَّة فَرَأَيْت أَكثر أَهلهَا كَذَا واطلعت فِي النَّار فَرَأَيْت كَذَا وَكَذَا فَمن زعم أَنَّهُمَا لم تخلقا فَهُوَ مكذب بِالْقُرْآنِ وَأَحَادِيث رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم وَلَا أَحْسبهُ يُؤمن بِالْجنَّةِ والنار].

من أصول السنة التي أجمع عليها أهل السنة، ويجب اعتقادها، أن الجنة مخلوقة، وأن للجنة أهلها، وأن النار مخلوقة، وأن للنار أهلها، فالنار حق وسيدخل أهل النار النار، والجنة حق وسيدخل أهل الجنة

الجنة، وهما مخلوقتان -كما ذكرنا- فإن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أخبر أنه قد دخل الجنة، فالذي يقول أن الجنة ليست مخلوقة هو مكذب للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، كيف يقول الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أنه دخل الجنة فرأىٰ كذا وسمع كذا، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أخبر أنه قد اطلع علىٰ النار ورأىٰ ما فيها، وأخبرنا ببعض ما فيها، فالذي يقول أن النار ليست مخلوقة مكذب للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، والغالب أن من لا يؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان في حقيقة أمره يكون غير مؤمن بالجنة والنار أصلًا؛ ولكنه يتستر بهذا، ولهذا قال الشيخ: [ولا أحسبه يُؤمن بالجنَّة والنار].

قال -رحمه الله-: [وَمن مَاتَ من أهل الْقبْلَة موحدا يُصَلِّي عَلَيْهِ ويستغفر لَهُ وَلَا يحجب عَنهُ الاسْتِغْفَار وَلَا تتْرك الصَّلَاة عَلَيْهِ لذنب أذنبه صَغِيرا كَانَ أَو كَبِيرا أمره إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ].

من مات من أهل القبلة موحدًا مصليًا، فإن أهل السنة والجماعة مجمعون على أنه يعامل معاملة المسلم فيغَسَّل، وتغسيله فرض كفاية، ويكفن، وتكفينه فرض كفاية، ويصلى عليه، والصلاة عليه فرض كفاية، ويستغفر له؛ لأنه يرجى أن يغفر الله له، ولا يحجب عنه الاستغفار ولو كان معروفًا بذنب، فيستغفر له؛ لكن يقول العلماء:

من كان على ذنب عظيم، أو على بدعة غير مكفرة، فإن أهل العلم والفضل لا يصون عليه، ولا يستغفرون له ظاهرًا؛ زجرًا عن مثل حاله، فإذا قُدِّمَ للصلاة يتأخر العالم ما يصلي عليه، ويتأخر الفاضل ما يصلي عليه، وقد يقدم الإمام عاميًا ليصلي عليه، ولا يستغفر له في العلن؛ لكن يستغفر له في الخفاء، يستغفر له في السجود، يستغفر له في الخلوات، أعني: بالنسبة للعالم، أما عموم الناس فإنهم كما يصلون عليه يستغفرون له، هذا الذي عليه أهل السنة والجماعة في هذا الباب، ومن لقي الله موحدًا وإن فعل من الذنوب ما قد فعل فإنه قد يغفر الله له، ونحن نحب للموحدين دخول الجنة وإن أخطأوا، وإن أذنبوا، نحب لهم دخول الجنة، ونستغفر لهم؛ لكن يمنع الاستغفار الظاهر من أهل العلم وأهل الفضل والصلاة عليه من أجل الزجر عن مثل فعله؛ حماية للدين، وحماية للسنة؛ حتى لا يتجرأ الناس على ذلك.

هذا آخر ما ذكره الإمام في هذه الرسالة العظيمة التي ينبغي ذكرها، ونشرها، وفهمها، وتعليمها.

وهذا الشرح -كما قدمت- هو الشرح الثاني مني لهذه الرسالة، وهذا الشرح أوسع من الشرح الأول، وأكثر تحقيقًا، وإن شاء الله سيكون الشرح الثالث واسعًا حيث نذكر الأصل وأدلته، ونذكر من خالف في

الأصل، وشبهه، ونرد عليها -إن شاء الله عزَّ وجل-، وسنقيم له دورة مستقلة -إن شاء الله- بعد عودة الطلاب في وقت مناسب -إن شاء الله عزَّ وجل- لنكمل الشرح، فيكون هناك شرح مختصر، وشرح متوسط الذي هو هذا، وشرح واسع -إن شاء الله عزَّ وجل- يكون في خلال الفصل الأول أو بعده مباشرة على ما نتفق عليه مع الطلاب -إن شاء الله عزَّ وجل-.

أشكر لكم حضوركم، وأشكر لكم صبركم، وأعتذر منكم على هذه الإطالة؛ لكني ما أردت أن أبخس الرسالة حقها، وأردت أن أشرحها شرحًا ينفع الأمة -بإذن الله-، فأسأل الله أن يكتب لي ولكم الأجر، وأن يغفر لي أن أطلت عليكم، وأن يعينني وإياكم على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وعلى نشر عقيدة أهل السنة، وتعليم السنة، وتعليم العلم النافع.

لعلنا نكتفي بما أوردنا، ونعتذر عن الأسئلة، فإنه لا وجه للأسئلة بعد هذه الإطالة، فأسأل الله أن يجعل في هذه المجالس خيرًا وبركة، واستغفر الله لي ولكم، والله -تعالى- أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.